الجزء الرابع
الأسرة والحب

ارفع رأسك عاليا

كنت في الثانية من عمري عندما تعرضت لحادث أفقدني إحدى عيني وترك مكانها تشوها ظاهراً منفرّا ...

بدأت مع مرور الأيام والسنين ... أدرك تركيز الناس على وجهي كما بدأت المرآة تطلعني – وبأمانة شديدة – على القبح الذي خلّفه ذلك الحادث الأليم على وجهى وجعلني أجزع من التطلع إليه...

كنت أسير ووجهي للأرض حتى لا يري الناس قبحي .. البعض كان يسألني عن هذا الذي في وجهي .. بينما كان البعض الآخر يبدي تعليقاته الأليمة للنفس ... بينما كان الأطفال الذين في سني يمرحون ويلعبون ... بقيت بعيداً وحيدة لشدة قبحي ...

كبرت وكبر معي إحساس بأن كل إنسان ينظر إليَّ بإحتقار وكأنني قد تعمدت أن أكون بهذا القبح ... كنت دائمة الإحساس بأنني المبنوذة الوحيدة في العالم ...

إلا أن العجيب في الأمر أن أمي كانت دائماً تقول لي " إرفعي رأسك عاليا " كانت كلماتها كإنجيل أردت أن أعيشه ... كانت تأخذني بين ذراعيها وتداعب شعر رأسي وهي تقول " إن رفعت رأسك عالياً سوف يري الناس جمال نفسك " ، كانت تفعل ذلك كلما رأتني منكسة الرأس... ذليلة النفس.

هذه الكلمات علمتني الكثير على مرّ السنين ... في طفولتي إعتقدت أن أمي – تشير عليّ بهذه الكلمات أن أنتبه للطريق لئلا أسقط .. في شبابي وعندما كنت أسير ووجهي للأرض لأخفي خجلي... كنت أتذكر كلماتها فأرفع رأسي عالياً ... والعجيب إني كنت حينئذ أرى الإعجاب في عيون الناس ... علمتني أمي أن أنفتح على العالم حتى يستطيع الناس أن يكتشفوا جمال روحي المختفي وراء شكلي الخارجي ...

وفي المرحلة الثانوية كنت متفوقة عليماً وإجتماعياً ... إلا أن إحساسي بقبحي كان يعتصر قلبي ... ما كنت أريد إلا أن أكون مثل باقي مخلوقات الله ... وعندما كان يفيض بيّ الكيل كنت أهرع لأمي فكانت تأخذني بين ذراعيها وتقول لي بكل الحب " إرفعي رأسك عالياً وواجهي الناس حتى يكتشفوا جمال روحك ".

وعندما تقابلت مع الإنسان الذي صار فيما بعد شريك حياتي نظر كل منا في عينيّ الآخر ثم قال لي" انت جميلة شكلاً وروحاً " وكان مؤمناً بكل ما قال ...

إن حب أمي وتشجيعها كان الشعلة التي غرست فيّ الثقة بالنفس وبذا قاومت كل الشكوك التي ملأت نفسي واستطعت بهذه الثقة أن أتحدي عداوة الناس وأواجه مشاكلي وأتعلم لا أن أحترم ذاتي فقط بل وأشعر بالأسى العميق على الآخرين ...
ارفع رأسك عاليا ... جملة كثيراً ما رددتها في بيتي ... أنها هدية أمي لي وقد وهبتها بدوري لأولادي ليعيشوا بها ... حيث قلت لكل منهم " إرفع رأسك عاليا وواجه الناس ليكتشفوا جمالك الداخلي".

وتحققت المعجزة

كانت ميري شديدة التعلق بأمها .. ملتصقة بها .. لا تكاد تفارقها فأمها هي الحياة والأمان .. أحاطتها بكل أنواع الحب والرعاية ..
لما بلغت ميري العاشرة من عمرها .. سطي اللصوص على منزلها وقتلوا الأم أمام عينيها وفرّوا هاربين بمسروقاتهم . تحجّرت الدموع في عينيها فلم تبكِ وأظلّمت الدنيا في وجهها فلم تعد تري غير أمها وهي مضرّجة في دمائها .. هكذا فقدت كل صلة لها بالحياة ... مما إضطرت أختها المتزوجة أن تنقلها من مدرستها ..
جلست ميري في الفصل وقد إنفصلت عن كل الموجودين .. فهي لا تري أحداً غير أمها ..
كان عيد الميلاد يقترب وبدأ التلاميذ يزيّنون شجرة عيد الميلاد دون أن تحاول أن تشترك معهم ..
تعجبت مدرسة الفصل لموقفها ولما عرفت السبب قررت أن تحيطها بكل حب الأمومة ورعايتها .. جمعت التلاميذ وشرحت لهم ظروفها .. ولدهشتها تفّهم التلاميذ الوضع وقرروا مساعدتها ..
كان الجو بارداً جداً .. ولما رآها التلاميذ ترتجف من شدة البرد تسابق كل واحد ليعطيها مما له .. فهذا أعطاها قفازاً .. وتلك أعطتها إيشارب صوف ، وآخر أعطاها جاكت أما المدرسة فألبستها كل ذلك وصففت لها شعرها .. وأعطتها بعض الحلوي ..
إلا إنه لم تأت مساعي المدرسة والتلاميذ بالثمر المطلوب .. كانت المدرسة على يقين وإيمان أنها بالحب ستنتصر على حالة الجمود التي أصابت ميري .. لم تيأس أبداً بل واستعانت بالصلاة " ربي الحبيب .. إنها في حاجة لعملك .. وأنا في إنتظار المعجزة ..
جاء الربيع وقررت المدرسة الاحتفال بهذه المناسبة .. فأعطت لكل تلميذ سلّة من الخوص وبعض الزهور ذات الألوان الزاهية ليزيّنه به ..
انشغلت المدرسة بمساعدة أحد التلاميذ عندما سمعت صيحة فرح تدوي في الفصل استدارت مسرعة وعقدت الدهشة لسانها عندما رأت ميري وقد زيّنت سلتها كأجمل ما يكون.

سألتها كيف إستطاعت أن تصنع هذا الجمال؟
أجابتها إن أمي كانت تحب الزهور وكانت دائما تزين به منزلنا ..
رفعت المدرسة قلبها بالشكر لله .. لقد تمت المعجزة ..
ركعت المدرسة لتحضن ميري .. هنا فقط إنفجرت ينابيع الدموع من عيني الطفلـــة ودفنــت وجهها في كتف المدرسة وهي تهتز من شدة البكاء بكي التلاميذ ولكن بدموع الفرح ..
فاز عمل ميري بالجائزة الأولى .. وتوسط أعمال التلاميذ ..
لقد مرت الأيام والسنين وانقطعت عن المُدرسة أخبار ميري ولكنها كانت واثقة من رعاية الله لها .. فقصتها دائماً تذكرها بقوة عمل الحب الممزوج بالإيمان والصلاة ..

الحب الفيّاض

منذ نعومة أظافري .. ارتسمت في ذاكرتي صورة جميلة مضيئه وحيّة لوالديّ .. أراهما في وضوح وقد تشابكت آياديهما وهما يتحدثان ويتناقشان ويتسامران .. أسمع رنين ضحكة أمي يرن في أذني عند سماعها إحدي قفشات أبي المضحكة ... مازالت في أذنيّ نغمـــة صـــوتها وضحكاتها تأتيني من كل ركن في منزلنا .. فهما مصدر الفرح والسرور في بيتنا .. نـــادراً ماكانا يختلفان حول رحلة يريد أبي أن يقوم بها بينما تعشق أمي التواجد في بيتهـــا .. فهـــو الأفضل في رأيها " إني أحب بيتي ولو خيّرت للذهاب لأي مكان في العالم أجمع لأخترت أن أعيش في بيتي ووسط عائلتي " ..
رفضت العمل لأنه كان يعني أن أنتزع نفسي لمدة ساعات كل يوم من بيتي الذي أعـــشقه ... لكن سرعان ما تتبدد تلك السحب بفعلّ حرارة حبهما المشترك ...
أصيبت أمي بالسرطان .. وباءت محاولات علاجها بالفشل .. عاش أبي معها رحلة آلامها.. بعد أن عاشا سوياً في تربيتي مع أختى وتلبية مطالبنا الروحية والنفسية والمادية .. فكنا نجد أحداهما معنا يحوطنا بعطفه وحنانه وعطائه .. فما من مرة خرجنا للمدرسة إلا وكانت أمـــي بجانبنا تعد لنا طعام الإفطار وتتأكد بنظرتها الفاحصة حسن ملبسنا وإكتمال كتبنا المدرسية ولا تتركنا حتى نركب أتوبيس المدرسة .. كنا نحس بدوام تواجدها معنا...
لما أشتد بها المرض أوصي الأطباء أن تنتقل إلى المستشفي لسهولة تمريضها ، لكن كلمـــات أمي كانت ترن دائماً في آذاننا " لو إنني خّيرت للذهاب لأي مكان في العالم لأخترت دائماً أن أمكث في بيتي ووسط عائلتي" .. وقررنا أن نقدم لها ما يمكن أن يسعدها أكثر من أي شـــيء آخر .. واخترنا أن نقوم بتمريضها في بيتها ووسط عائلتها ...
إنقضي الصيف وحلّ عيد الميلاد الأخير لأمنا .. خيّم الحزن على الأسرة إلا أن أبي اشـــتري أكبر وأجمل شجرة عيد ميلاد من أجلها .. ثم زيّنها كأفضل ما تكون الزينة وأضاءها كأروع

ما تكون الإضاءة .. جلست أمي أمام الشجرة تتأملها بالساعات فكل زينة تزينها تثير في نفسها أجمل الذكريات ...
في يوم مظلم ممطر شديد البروده فاضت روح أمي وهي في بيتها الذي أحبته وبين أسرتها التي عشقتها ..
وقبل أن ترحل جلست على سريرها تحوطها الأنوار الخافته .. هنا توقعتُ أن تعبر عن ألمها لفراقنا .. إلا أن المرأة التي رأيتها قد زالت عنها كل آثار المرض والألم والوهن التي تميزت بها في الأيام الأخيرة .. وتجسدت أمامي أمي وهي في كامل صحتها تماماً كما كانت في الماضي البعيد ...
ولما كانت أمي .. قد أمضت آخر أيامها في بيتها .. أرادت أن تكافئنا فجمعت حولها أرواحنا في وحدة كاملة برباط الحب الأبدي ، إيماني بوجود الله زادته يقينا أعمال أمي .. لقد رأينا محبة الله الفياضة في محبتها وهي في طريقها إلى السماء ...

شكراً لك يا أبي

أمسك الطفل الصغير – البالغ من العمر خمس سنوات – بقلم وحركة يميناً ويساراً ، طولاً وعرضاً على صفحات كتاب الصلوات الخاص بأبيه الكاهن.
نظره أخاه الأكبر وأرتعب .. فالكتاب غالي الثمن والقيمة مثل كل الكتب التي يقتنيها أبوه الكاهن ويحفظها بعناية شديدة لأنها تحمل إليه المعرفة وتساءل : " تري كيف سيعاقب والده أخاه؟! .. ربما حرمه من لعبة أو من الحلوي التي كان يقدمها من آن لآخر .. ربما صرخ في وجهه متوعداً لكن من المؤكد أنه سيضربه.
أمسك الكاهن بالكتاب يتأمله .. إن لهذا الكتاب قصه فهو جائزة قيِّمة أهداها له البابا .. أخذ الكاهن يقلب الصفحات التي تحمل آثار قلم أبنه .. ثم جلس دون أن يتفوه بكلمة واحدة . إنه يحب كتابه ولكنه يحب أبنه أيضاً .. لذا فلن يعاقبه ولن يؤنبه. ثم أمسك الكاهن بقلمه وسّطر هذه الكلمات على الكتاب الذي لم يعد صالحاً للقراءة: " هذه بصمات إبني البالغ من العمر خمس سنوات ، ذو الوجه الملائكي والعينين البريئتين والقلب المحبّ .. أشكر إلهي إذ أعطاه القدرة أن يمسك بالقلم ليعبّر لي عن نفسه بهذه السطور العفويه التي باركت لي هذا الكتاب مثلما صار أولادي كلهم سبب بركة في حياتي".
قرأ الإبن الأكبر هذه الكلمات مندهشاً أنه لم ير أبداً مثل هذا العقاب الفريد . صار هذا الكتاب مرجعاً خاصاً في حياته يرجع إليه من آن لآخر ليستقي منه معني الحب والتسامح . لقد علَّمه والده إن القيمة الحقيقية هي للإنسان لا للجماد .. كما أنه جعل من الحب قلب العائلة النابض .. لأجل ذلك لم يجد أثمن من هذا الكتاب ليقدمه هديه لإبنه المتفوق ..

تذكر الإبن الأكبر هذه الأمور وإبتسم وهو يتمتم بهذه الكلمات:

" شكراً لك يا أبي"

أحضان أمي

في سن الخامسة عشرة وفي بداية فصل الصيف جلست أمام أمي أحاول إقناعها بأن تتركني أذهب بعيداً عنها متحرراً من كل القيود التي تفرضها على ّ والتي تكتم أنفاسي وتصيبني بالإحباط والاختناق ..

حاولت أمي أن تشرح لي صعوبة مرحلة المراهقة التي أمر بها والتغيرات الفيسيولوجية والنفسية والاجتماعية التي أتعرض لها وأنها مجرد مرحلة ستمر وسوف أجني ثمارها البناءه بعد ذلك .. لكن دون جدوي ..

خرجت من بيت أمي .. أستنشق نسيم الحرية حيث يمكن الاعتماد على الذات وحدها في تدبير كل أمور الحياة .. لكني فوجئت إني لا اعرف إلى مَن أذهب .. قصدت بيت الأصدقاء وأمضيت بضعة شهور أنتقل من منزل صديق إلى آخر.

بعد أقل من سنة لم يكن لي مأوي في بيت أصدقائي خاصة وقد بدأت الألسنة تتكلم عن ضياع بعض الأشياء كنت قد سرقتها لأشتري بها مخدرات.

في سن السادسة عشره لم يكن لي صديق ولا مآوي .. فقدت تقديري لنفسي وإحترامي لذاتي .. كان الشارع هو فراشي في حر الصيف وفي برد الشتاء حتى فكرت في الإنتحار .. إذ ضاع كل أمل لي وتملكني شعور عظيم باليأس .. فقدت الكثير من وزني لعدم قدرتي على هذا النوع من الحياة والاكتفاء بالقليل جداً من الطعام ..

هنا تذكرت أختي وقررت الذهاب اليها رحبت بي وسعدت لأول مرة منذ مدة طويلة بالنوم العميق الطويل .. نعمت بالمأوي ولكني لم أستطع التحرر من عبودية المخدّر التي تملكتني حتى إني كرهت نفسي وطلبت لنفسي الموت فقدت كرامتي وعزة نفسي وكل طموحي ..

ذات يوم استيقظت على رنين التليفون .. جاء صوت أمي .. تملكتني الرعدة والخوف .. كيف أجرؤ التحدث اليها .. جاءني صوتها " إني أعرف إنك تمر بأوقات صعبة فحاول التأقلم مع ظروف الحياة المريرة التي اخترتها لنفسك .. لكني لم ولن أتركك أبداً .. فها أنا بجانبك أحملك – متى أردت – في الأوقات الصعبة .. هنا أدركت رعونة تصرفي وحماقة القرار الذي إتخذته في إندفاع في يوم من الأيام .. إلا انها بحبها العظيم في ذلك اليوم قد حطمت القيود التي كانت تحوطني بعدم الآمان والألم ..

جلست وبكيت كثيراً .. أخيراً تأكدت أن هناك شخصاً يحبني عندما وضعت سماعة التليفون .. شعرت بهول الاساءة التي أسأت بها إلى نفسي والآلام العظيمة التي سببتها للآخرين .. أسقط

في يدي ولم أدري ماذا أفعل .. سعدت في اللحظات التي سمعت فيها صوت أمي يؤكـد لـي محبتها العظيمة لي .. ولكن هول أخطائي أفزعني .. قررت من خلال دموعي أن أَضع نهاية لحياتي ولكن سرعان ماتبدّل موقفي عندما رأيت ومن خلال دموعي أيـضاً مظـاهر الحـب تحيطني من كل ناحية .. فها هي أمي وأختى يدعواني أن أقوم لأبدأ من جديد ..

الآن وقد مضي شهراً من الزمان خضعت فيه للعلاج من المخدرات .. أحسست وللمرة الأولى بقرب تحرري من عبوديتها .. وبدأت بخطي بطيئة ثابته في الاجتهاد في دراستي ..

لقد تغيرتُ كثيراً .. والتغيير الأعظم حدث في قبولي لذاتي والرضاء على تصرفاتي .. عندما فقدت الرغبة في تناول المخدرات زاد تقديري واحترامي لذاتي وصارت لي مجموعـة مـن الأصدقاء لهم مُثلي ومبادئي .. علاقتي بأمي تطورت للأفضل وزاد ارتباطي بها .. صـرنا نتحدث معاً ونتناقش معاً .. وجدت فيها الحب كما وجدت الأمان وفي إجازة الصيف نصحتني بالإنشغال بمشروع تجاري صغير قدمت لي كل الدعم لنجاحه ..

واليوم في عيد ميلادي التاسع عشرة أستطيع أن أنظر نفسي في المرآة فأرى أمـي ورائـي تحتضني بعينيها وتضمني في قلبها ..

بداية جديدة

كل منا تعرض للفشل في بعض نواحي الحياة ... وما هذا الفشل سوي فرصة ذهبية أتيحت لنا لنتعلم ونستفيد منه .. وعلى الرغم من ذلك فالآباء والمدرسون يرفضون إتاحة هذه الفرصـة لأولادهم وتلاميذهم – يصوّرون لهم الفشل كخطأ جسيم ينبغي أن يخجلوا منه. ويطـالبونهم بالتفوق الكامل.

كان إبني الصغير قليل الثقة بنفسه .. يخشي دائماً الفشل حتى إنه رفض الاشتراك في الفـرق الرياضية بالمدرسة خوفاً من الفشل ... كان دائماً في خوف من الخطأ سواء كتب موضـوع للتعبير أو حلّ مسائل رياضية .. لذا كان دائم الكآبة والإحباط .. يطـالبني دومـا بمراجعـة واجباته المدرسية لئلا يكون قد أخطأ في حلها ...

حاولت بكل جهدي أن أبث فيه الثقة بالنفس ولكن بلا جدوي حتى جـاءت مدرسـة جديـدة للفصل.

كانت جميلة صغيرة السن وكانت تحب التلاميذ والتلاميذ يبادلونها حباً بحب . إلا إن محبـة إبني لمدرسته لم تمنعه من الإستمرار من الخوف من الفشل.

وذات صباح ... كتبت المدرسة ثلاثة مسائل حسابية على السبورة .. أظهـر إبنـي تقـدماً ملحوظاً في حل بعضها لكنه فشل في حل المسألة الثالثة . إنخرط إبني في البكـاء وأصـابه اليأس من إمكانية التغلب على فشله.

هنا تقدمت المدرسة الشابة بوجهها المشرق وهي ممسكة بيدها مجموعة من الأقلام ينتهي كل منها بأستيكه في طرفه إنحنت نحو إبني وقالت وهي تمسح دموعه: " عندي لك مفاجأة ". ثم رصّت أمامهِ الأقلام وقالت: " أترى هذه الأقلام أنها أقلامي ألا ترى معي الإستيكة التي في طرفها وقد تآكلت حتى لم يبق منها شيئا يُذكر ؟ .. يرجع ذلك إني قد أخطأت مراراً كثيرة ولكنني في كل مرة أخطئ فيها كنت أمسح الخطأ بالأستيكة وأبدأ من جديد وأريدك أن تتعلم مني هذا الدرس".

قبّلته المدرسة ثم وقفت منتصبة وهي تقول:

" سأترك لك بعض هذه الأقلام حتى تتذكر إن كل إنسان معّرض للخطأ حتى المدرسين ".

نظر إبني بحب للمدرسة ثم إبتسم إبتسامة عريضة كانت الأولي التي أراها ترسم على شفتيه.

إحتفظ إبني بالأقلام ونتيجة لتشجيع المدرسة لكل نجاح صغير يحققه إبني .. وصل إلى الإقتناع بأن من حقه أن يخطئ مادام بوسعه أن يمحو هذا الخطأ ويبدأ من جديد ..

إنها حقا قوية

تنفسَت الصعداء عندما خرجت من لجنة الإمتحان ... يا لسعادتها إنه آخر إمتحاناتها ... أخيراً ستتحرر من قيود المذاكرة ... ستمتلك كل وقتها ... تمضيه كيفما شاءت ... عند وصولها للمنزل إبتسمت إبتسامة عريضة وهي تري أخوتها يسابقون الزمن لتحصيل مواد الثانوية العامة ... بينما إنشغلت والدتها في إعداد الطعام أما هي فحرة الآن ... لكن سرعان ما خابت آمالها وإنهالت عليها الطلبات من كل جانب ... فأختها تطلب مساعدتها في تلخيص بعض المذكرات ... بينما يدعوها أخوها أن تعد له كوباً من الشاي يغلب به النوم ... أما والدتها فطلبت منها إعاده تنظيم حجرة المعيشة ... وترتيب حجرتها وكتبها ... دق جرس التليفون فذهبت لترد ... ورن جرس المنزل فذهبت لتفتح ... أنه مورّد الفاكهة يريد الحساب ... وهذه الفاكهة ينبغي أن تغسلها ... جاء والدها متعباً منهكاً ... يطلب كوب ماء ويأمر بسرعة إعداد المائده ليستطيع أن يلحق بمواعيده ... مرت عدة أيام والطلبات تزداد ... والأعمال لا تنتهي ... هنا إنتابها شعوراً داخلياً بأنها لو لم تكن ضعيفة الشخصية ومسلوبة الإرادة ما حمّلتها أسرتها ذلك الحمل الثقيل ... قررت أن تقاوم وتثبت إنها الأقوي ... بعد الغذاء أعلنت أمام الجميع عن رغبتها في رفض هذا الوضع المشين ... لم يناقشها أحداً ... التزم الكل برغبتها ... هكذا مر اليوم الأول ... والثاني ... والخامس ... شعرت بملل شديد ... اقتربت من إخوتها لعلهم يطلبون منها شيئاً ... لكن لم يحدث كذلك والديها ...

هنا شعرت بعدم أهميتها وضعفها ... إنها تحب أسرتها فلماذا لا تساعد كل أفرادها ... خاصة وهي تدرك تمام الإدراك إنهم يحبونها كل الحب ... صارحتهم بخطئها ... فإحتضنوها

بمحبتهم ... وإنهالت عليها الطلبات من جديد ... وإبتسمت هذه المــرة لأنهــا تحــررت ... تحررت من ضعفها.

إنها الآن حقاً قوية

خدمة الآخرين

جلست وحيداً أتناول طعام الغذاء وقد إمتدت أمامي مائدة الطعام طويلة تسع ثمانية أو عــشرة أشخاص ... هنا أدركت لماذا صنُعت مائدة الطعام لكي تأخذ ستة أو ثمانية أشخاص ولــيس خمسة أو سبعة أشخاص .

لقد عشتُ دائماً وحيداً ليس لي من رفيق أو صديق سوى تلك الكراسي الخشبية الصماء التــي لا تجد من يشغلها خاصة في الأعياد والمناسبات .

فكرتُ أن أدعو أحد الزملاء ليقاسمني غذائي في الأجازات وفشلت التجربة فليس بيننا شــيئاً مشتركاً لا في الكلمات المستخدمة ولا في طريقة المعيشة ولا حتى في آداب الحديث...

كان الأقرباء يأسفون لوحدتي دون أن يفعلوا لي شيئاً يخفف من حدّتها إنغمست في العمل ... إزدادت ساعات عملي وإزدادت إرتباطاتي ومع هذا كان فراغي الداخلي عظيماً ... يــؤرقني وينزع مني كل متعة حقيقية في الحياة ...

فكرّت أن أهتم بملبسي ومظهري وأن أقضي أوقاتي خارج المنزل فــي المــسارح والــسينما والاستعراضات ... لكني كنت أري نفسي تذبل يوماً بعد يوم وتجف حيّويتها وتخور قواها ... إلى أن حلّ عيد الميلاد وسألتني عمتي لماذا لا أصحبها لزيارة بعض العائلات التي لا عائــل لها ولا مسكن ربما حينئذ نشكر الله على ما نحن فيه ...

تسابقت الآف الأسباب إلى رأسي تثبت بشكل قاطع إن هذا الإقتراح ليس هو الجيّد ... إلا أن عمتي أصرت على رأيها ...

إجتمعت العائلات في صالة كبيرة تسابق ذوات القلوب الرحمية بتزيّينهــا بزينــات المــيلاد والتبرع بالمأكل والمشروبات والحلوي لهؤلاء المعدّمين ...

تسابق الكل لخدمة هؤلاء الذين لا عون لهم وعلى الرغم من عدم جودة الطعام إلا أن الفرحة قد عمّت الجميع وربطت الأحاديث بين كل مجموعة ... كان هؤلاء القوم سعداء لأنهم وجدوا مكاناً يجلسون فيه ومائدة طعام يأكلون منه .... اشتركت في تلك الأحاديث والعجيــب إنــي وجدتُ أشياء كثيرة مشتركه بيني وبينهم .

إختبرت في ذلك العيد ما لم أختبره في حياتي كلها من فرح عجيب وســلام عميــق ... لقــد تمتعت بمساعدة هؤلاء المحتاجين إلى درجة إني بدأت أبحث عن فرص أخري أخــدم فيهــا الآخرين بلا أنانية ذاتية إذ نسيت في غمرة فرحتي متطلبات نفسي كنت أعطي دون إنتظــار

مقابل ولكن مقابل السماء كان غزيراً ووفيراً ... فقد عمّت حياتي البهجة وصـارت خـدمتي منتظمة حيث تكوّنت مجموعات عديدة هدفها الأوحد خدمة الآخرين والترفية عـنهم وإجابـة مطالبهم ...

أمضيت كل وقتي في التفكير في كيفية الوفاء بالتزاماتي ولم يبق لي وقتا للتفكير الأناني فـي نفسي ... لم يعد لي وقت أمضيه خارج دائرة خـدمتي لهـؤلاء المجـروحين ... الإهتمـام بالآخرين ملأ كل فراغ في حياتي حيث وجدت هدفاً سامياً أعمل جاهداً من أجل تحقيقه ...

لم تعد المائدة تشعرني بوحدتي بل على العكس وجدتٌ أنها تناسبني في تحقيق أحلامـي فـي خدمة الآخرين.

علـّـمتني أمي

قبل ولادة إبنتي بخمسة أسابيع ... حذّرني الطبيب المعالج من أي مجهود وأوصاني أن ألـزم الفراش وأبتعد عن أي انفعال ... وأكون دائماً في صحبة أحد البالغين الحكمـاء يـستطيع أن ينقلني فوراً إلى المستشفي في حالة أي ولادة مبكرّة ...

جلست أفكر مع زوجي فقد كانت حاجتي إلى معونته تبدأ بعد الولاده وليس قبلها ... كما إننـا نسكن في الدور الثالث بدون أسانسير وصعود السلالم من الممنوعات ...

فيما نحن نفكر أتانا صوت أمي " لماذا لا تأت إلى منزلي " ... إعتبر زوجي هذا الحل مثالياً .. فأمي تسكن في الدور الأرضي على بّعد بضعة أمتار من المستشفي.

أما أنا فقد إعتراني الشك من إمكانية إحتمال السّكني مع أمي طوال هذه المدة ... فقد كانت لي مع أمي قبل الزواج مشاكلي الكثيرة كمعظم المراهقات ... وكان التلاقي بيننا نادراً ... إلا أن الضرورة فرضت عليّ قبول هذا الوضع ... وذهبتٌ إلى بيت أُمي.

أمضيت أيامي معها كمراهقة وليس كأم تنتظر مولودها خلال بضعة أسابيع كنت أسجّل عليها كل كلمة ... كل تصرف ... وأنتقدها بشدة وهي تفتخر بين زميلاتها أن إبنتها تعـيش معهـا الآن في إنتظار المولودة ... إعتبرت ثرثرتها تعدّيا على خصوصياتي وعلى حريتـي ولمـا واجهتها بفكري أفهمتني أن ذلك كان من قبيل الافتخار لي وليس التعدي على خصوصياتي ..

عند رجوع زوجي من العمل وخروج أُمي لزيارة الصديقات أو شراء ما نحتاجه للبيـت ... كنت أنفجر باكيه في وجهه وأقول " أريد أن أرجع إلى بيتي" ...

وكنت أعدَّد له كل أخطاء أمي في إدارة المنزل وترتيبه ... في سوء الطعام المقـدّم ... فـي طريقة كلامها ... والعجيب أن زوجي كان يلتزم الصمت الكامل ليفهمّني أنه ليس مقتنعاً بمـا أقول ... فكنت أزداد اشتعالاً.

وجاء عيد الميلاد وانشغلت أُمي بشدة في تصنيع أشهي المأكولات واهتمت خاصة بي إذ ألغت من المائدة كل ما لا أحبه على الرغم من كونها من كونها تعشقه ...
ولأول مرة ألاحظ المجهود العظيم الذي بذلته أُمي في ذلك اليوم ... ولما أعدّت المائدة دعتنا أُمي أن نشاركها فرحتها بوجودنا معها ... وقالت في وسط دموعها " لا أتـصوّر سـعادتي عندما أحمل طفلتك بعد بضعة أيام ... إني واثقة إنك ستحبين إبنتك بالحب الذي أحببناك بـه دوماً أنا وأبيك ...
هنا فقط أدركت أن أمي تحبني ... بل تحبني جداً ... فتحت قلبي لأستقبل حب أمي الفريد ... قساوة قلبي تجاهها كانت بسببي أنا وحدي ... لم أفهم أن حبها لي يحتم عليها رعايتي والسهر عليّ والتدقيق في خروجي ودخولي ... والسؤال عن الـصديقات والنـصح بالابتعـاد عـن المختلفين عني ... إعتقدت خطأ أنها تريد أن تتحكم فيّ ...
تركت نفسي على سجيتّها فسعدت بصحبة أمي ... كنا نتسامر معاً وتحكي لي عن أيام حملها بي وأيام طفولتي السعيدة ... قرأنا سوياً كتباً عن العناية بالرضّع وتربية الأطفـال ... كنـا نضحك سوياً ونصمت سوياً لتتكلم قلوبنا وأفكارنا ... أكلنا سويا أشهي المأكولات المفـضلة لدي ...
وباختصار لقد عرفت أمي كما لم أعرفها طوّال حياتي الماضية ... كانت توقظني في الثانيـة صباحاً وتحضر لي الدواء لآخذه بعد أن تكتشف إني إستغرقت في النوم ولم أسـمع جـرس الساعة ...
أوصتني أن أفتح ذراعيّ على أخرها ثم أضم إبنتي بينهما كما كانت تفعل لـي ... وجودهـا بجانبي أسعدني ...
كانت تصحبني إلى الطبيب وتسمع ضربات قلب طفلتي وتسأل بلهفة الممرضة " هل الطفلـة على ما يرام " نعم كانت إبنتي بخير هنا انحنت أمي نحوي تقبلني على وجنتّي .. أمسكتُ بيد أمي وضغطت عليها في حب واثقة إني سأسير على خطاها ... سـأكون مـع إبنتـي إينمـا احتاجتني دون التقيّد بسنين عمرها أو بتصرفها سأكون هنا بجوارها تماماً كما علمتني أمي.

مسئولية أم

نظرت إبنتي إليّ وقد إستغرقت في تصحيح مجموعة من الكراسات وقالـت : " إنـك دائمـاً مشغولة عني يا أمّي " أجبتها مُدافعة عن نفسي " لا .. لا يمكنني أن انـشغل عنـك أبـداً " استطردت إبنتي " بل إني أراك دائما مشغولة كلما رجعت من مدرستي " كانت إبنتي على حق .. في كل يوم تتراكم أمامي الكراسات لأصححها ثم استغرق في تحضير دروس اليوم التالي علاوة على الإنشغال بأمور المنزل من تنظيف وتنظيم وغـسيل وإعـداد الطعـام وشـراء

مستلزمات المنزل .. كنت لا أجد لنفسي بضعة دقائق أترك فيها العنان لأفكاري وأحاسيسي ومشاعري ..

كنت فخورة بنفسي .. فأولادي لا يحتاجون لشيء .. لقد بذلت الجهد والوقت في تربية أولادي وحاولت بكل السبل أن أدبّر لهم كل إحتياجاتهم .. حتى ايقظتني من غفلتي ملاحظة إبنتي .. بدأ ضميري يوجعني .. لقد إستطعت أن أتكفل بكل إحتياجاتهم المادية ونسيت في غمرة مشاغلي إحتياجاتهم العظفية ... إنهم يريدون الأم التي لا يستطيع شيئاً أن يعوضهم عن حبها .. تألمت لفشلي كأم وإن نجحت كربة بيت وأدركت أن علاقتي بأبنائي أهم وبكثير من عملي ومن مسئولياتي الأخري ..

ذهبت لإبنتي التي أيقظت فيَّ أمومتي وأخذتها في حضني وقبّلتها في حب وقلت لها " ما هو شعورك وأنت بين أحضاني تتمتعين بقبلاتي أجابت في صدق " كنت أبحث عنك ولا أجدك يا أمي" ...

شرحت لابنتي مسئولياتي وضرورة الإستمرار في عملي من أجلهم ثم عرضت عليها أن تذكرني بأمومتي كلما شعرت باحتياجها لأحضاني .. ووعدتها إنها سوف تجد دائماً ذراعيّ مفتوحتين لضمها ...

من ذلك الحين زاد إهتمامي باحتياجات أبنائي العطافية وكلما نسيتها وجدت إبنتي بين ذراعيّ تذكرني بها .. وكانت هذه علامة حب بيننا تذكرني بمسئوليتي الأولى كأم تذوب أمامها كل مسئولية أخري ليأخذ التعبير عن الحب مكان الصدارة في إهتماماتي الأسرية.

أسوأ أم في العالم

وقفت الأم يعتصرها الألم أمام إبنتها وقالت وقد إنسابت الدموع بغزارة من عينيها " أني أسوأ أم في العالم " ثم بدأت الأم تعدّد مساوؤها في طريقة تربيتها لي :

" كم من مرة كنت صارمة نحوك وكم من مرة منعتك من ممارسة هواياتك ، والإلتقاء بصديقاتك ... لقد نجحت في الثانوية العامة بمجموع مشرّف ولكن لفقرنا الشديد لم نستطع والدك وأنا أن نهديك الخاتم الذي وعدناكِ به .. كم من مرة قمتُ بعقابك وخاصة خلال تلك السنه الماضية .. كم من مرة تدخلت في حريتك في إختيار صديقاتك إني حقا " أسوأ أم في العالم".

نظرت الإبنة إلى والدتها وهي تعدّد مساوؤها من خلال دموعها فوجدتها في غاية من الجمال .. أحست بمشاعر الحب تتدفق نحو تلك الأم الباكية والذي عجز لسانها عن التعبير عن عظم مكانتها في قلبها .. إلا إنها قالت: " أريدك أن تعلمي يا أمي إن عقابك لي وصرامتك نحوي في صباي يحتلان مكاناً ضئيلاً في ذاكرتي إذا ما قورنا بالليالي التي أمضيتها ساهرة بجواري

لتمريضي .. والساعات الطويلة التي أمضيتيها واقفة لتعدي لي ما أحبه من طعـام وحلـوي وكيف أنسي إختيارك الحرمان من الضروريات لتوفري لي الكماليات .. وكيف أنسي علامات الحب الوفيرة التي أحطيني بها في كل مراحل عمري .. وكيف أنسي كلمات فمك وتعبيـرات وجهك الناطقة بمكانتي الخاصة في قلبك .. كيف أنسي حبك لي الذي لا يستطيع كائن بشري أن يحبني مثله .. هذا الحب الباذل الذي لا يطالب بأي مقابل.؟

مضت السنون ولم أقل لأمي إن أخطاءها هي الربوة التي رفعتني وحبها وتفهمها هما الجبال التي أعانتني على تسلقها لأسمو وأرتفع لكني أستطيع أن أقولها الآن " شكرا لك يـا أمـي .. شكراً لك يا الهي إذ وهبتني مثل هذه الأم العظيمة ".

الهدية

ذهبتٌ مع زوجتي لنختار لها هدية عيد زواجنا الخامس والعشرون ... كان الطريق مزدحمـاً بالمارة وبالعربات ... لكن إزدحام الطريق لم يمنعنا من رؤية إثنين من المحتاجين يفترشـان الأرض ... كانا شابين ... رثا الثياب . لهما شكل منفرّ ... لم أطمئن لمنظرهما وقلـت فـي نفسي ربما طلبا مالاً ليشربا به خمراً ... إلا أنه عندما إقتربت زوجتي منهما كـان كلاهمـا يرتعشان من البرد ... ولما سألتهما زوجتي عما يحتاجان إليه قال أحدهما " أريد أن أعـرف كم الساعة الآن " نظرت زوجتي إلى ساعتها وأجابت " انها العاشرة والنصف " ... شـكرها الشاب وقمت بتأنيبها لأنها تحدثت مع مثل هذه النوعية من الناس التي من الممكن أن تؤذيها.. وصلنا إلى الجواهرجي واختارت زوجتي خاتما جميلا ... ولدهشتي إختارت أيـضاً سـاعة رجالي ودفعت ثمنها ...

في رجوعنا رأيت الشابين المحتاجين في مكانهما ... وعندما إقتربنا منهما أخرجت زوجتـي الساعة من حقيبتها وأعطتها للأكبر سناً ... شكرها الشاب بعمق وعندما سألتها عن الهدف من هذه الهدية اجابت ببساطة " إن الله كريما معي دائماً فقررت أن أفعل شـيئاً لأجلـه " لكنـي قاطعتها بانفعال " لكن هذا الشاب لا يستحق مثل هذه الهدية " أجابت " حتى الفقراء يستحقون أن يأخذوا شيئاً ثمينا والله أكرمنى كثيراً بما لا أستحق " قلت " سوف يبيع هذه الساعة ليشتري بثمنها خمراً " اجابتني" لا يهمني ماذا سيفعل بهديتي إني سعيدة لأني قمتٌ بعمل صالح "...

ذهبت لمكتبي وصورة الشابين لا تفارقني ... أتخيلهما في الحانة يشربان الخمر بثمن الساعة التي أهدتها إليهما زوجتي.

وفي اليوم التالي وفي طريقي للبنك رأيتٌ الرجلين ... وبادرني أكبرهما " هل تسمح وتقول لي كم الساعة الآن " هنا تأكد ظني وصار حقيقة واضحة ... لقد باعا الساعة التي أهدتها لهمـا زوجتي ... هنا سألته " وأين الساعة التي أعطتها لك زوجتي بالأمس؟ "

أحنى رأسه واعترف بذنبه " أسف يا سيدي لكني كنت محتاجاً للمال ألا يمكن أن تساعدنا أنت أيضاً " هنا فقط لمحت معطفا يغطي الصغير منهما ، وبقيت بلا كلام لكني أعطيتــه بعــض النقود وانصرفت ".

وفي طريقي كنت أفكر ... لقد باع الساعة لا ليشتري خمراً بل معطفا لزميله إذن فالخير الذي فعلته زوجتي أتي بثماره ... هنا إستدرت راجعاً إليهما ... ربَّت على كتــف الأكبــر فيهمــا وأحسست بالبرودة التي يشعر بها ... هنا خلعت معطفي وغطيت به أكتافــه دون أن أقــول كلمة.

وفي طريقي لمكتبي اصطكت أسناني من البرد لكني كنت أشعر بالدفء يملأ قلبي كمــا لــم أشعر به من قبل.

تمثال الأمومة الحانية

إقترب عيد الأم وإزدادت حيرتي في إختيار أنسب الهدايا لأمي ... كان حبي الــشديد لأمــي وراء هذه الحيرة ... لقد أردت أن أهديها أحسن هديه تعبر عن مشاعري الجياشة نحوها ... وجاء اليوم السابق لعيدها دون أن أستطيع أن أقرر ماذا أهديها ... ذهبت على عجل أبحث لها عن هدية ... حتى دخلت إحدي المحلات الكبري ... كان الزحام شديداً ... فالكل يجري باحثاً عن أحلي الهدايا لأحن قلب ... أخذت طريقي وسط الزحام عندما اصــطدمتٌ برجــل يقــف أمامي يخبرني في يأس عظيم أنه فقد محفظته البنية اللون ... وقبل أن أتكلم وضع في يــدي كرتاً به رقم تليفونه لأخبره متى وجدتٌ حافظة نقوده.

أكملت طريقي وسط الحشد وبحثت في كل مكان ... صعدتٌ إلى أعلى ونزلتٌ إلى أسفل ولكن دون جدوي ... كنت أسابق الزمن لأشتري هديتي قبل إغلاق المحــل فأصــطدمت رجلــي بصندوق سقط من على الرف فوقعتٌ أرضاً على وجهي ... ولما قمت لأضع الصندوق فــي مكانه ... وجدت تمثالاً رائعاً يمثل أمومة الحب والحنان في أسمي معانيها ... حقاً إن في هذا التمثال أفضل تعبير عن مشاعري نحو أُمي ... أسرعت لأدفع ثمنه وهناك إكتشفتٌ إني قــد نسيت حافظة نقودي في البيت ... يا إلهي ماذا أفعل في هذه الكارثة .... لم يبق غير عــشر دقائق على إغلاق المحل والمسافة بين المحل والبيت أكثر كثيراً من العشرة دقائق ... يجــب أن أشتري الهدية لأمي ولكن كيف ؟

هنا لاحظتٌ أن رباط حذائي قد إنفك فانحنيت لكي أربطه ... فرأيتهــا ... نعــم رأيتهــا ... حافظة بنية اللون ... تربض أرضاً لابد إنها حافظة هذا الرجل الذي إصطدمتٌ به عند مدخل المحل ... فتحت الحافظة إنها مملوءة بالمال ... ما بها أكثر بكثير من ثمن هديــة أمــي ... لكني لم أتردد فيما يجب أن أفعله ... ينبغي أن ... اتصرف التصرف اللائق ...

أدرت قرص التليفون وجائني صوته يخبرني أنه مازال في المحل على بعد بضعة خطوات مني ... كان سعيداً منفعلاً وشكرني بشدة ...

استدرت لأخرج من المحل عندما شعرت بيده ترتب على كتفي وهو يقول " إنك حقاً تستحق المكافأة " فتح الرجل حافظته وأعطاني ما يكفيني لشراء هدية أمي ... شكرته جداً وأسرعت اشتري هدية أمي قبل أن يغلق المحل أبوابه ... وأخيراً اشتريتها ...

وفي اليوم الثاني ... فتحت أمي هديتي ... وكان لتعبير السعادة الفائق الذي إرتسم على وجهها أكبر تأكيد لي على إعجابها بالهدية ... رويت لها ما حدث لي بالأمس فأجابتني " إن تصرفك هذا يزيد من قيمة الهدية في عيني ".

وإلى الآن تضع أمي تمثال الأمومة الحانية في أبرز مكان في البيت ... لأنه يذكرها بي ... أما هذا التمثال فيذكرني دائماً بأنه من الممكن أن تتحقق كل أمانينا في لحظة وإن فقدنا كل أمل لنا في تحقيقها .

معنى الصداقة

كان لي كثيراً من الزملاء لكنهم لم يكونوا من المقربين إليّ ... إذ كنا نتقابل من آن إلى آخر في ملعب الكرة أو عند الجيران أو خلال الإنترنت ... لم أكن أتمتع بالصحبة الحقيقية التي كان تشتاق إليها نفسي بشدة ...

كان مستوي مدرستي هابطا كذا مستوي التلاميذ الذين فيها لذا رأت أمي أن تنقلني منها ... وفي المدرسة الجديدة سخر مني التلاميذ إذ كنت أرتدي نظارة طبيّه .. دون أن أهتم بمظهري ولا بملبسي.. لم تكن الابتسامة تعرف طريقها إلى فمي ... كما كنت أضم ملابسي بحزام ردئ المنظر ... والأكثر من ذلك كان وزني من الوزن الثقيل ... والمشاكل المتفجرّة بين والديّ زادتني حزناً وانطواءاً على نفسي ...

وفي يوم إقترب منى زميل أثناء الفسحة واستأذن في الجلوس .. بدأنا نتكلم واكتشفنا من حديثنا سويا أشياء كثيرة مشتركة بيننا ثم قدمني هذا الزميل لأصدقائه وبدأت مجموعة أصدقائنا تنمو وتكبر ... حتى صرنا لا نفترق عن بعضنا ... فكنا نلعب أثناء الفسحة بالكرة وبألعاب كثيرة أخري ... كان كل شيء مشتركاً بيننا ... كلما احتجت لشيء وجدت أصدقائي حولي ... كانوا يحبونني لشخصي ... وجودهم في حياتي غيَّر من حياتي ... غيَّر من مفهومي لنفسي ... أحسست لأول مرة بالسعادة ... لم نكن نتخاصم إلا نادراً ... كان إرتباطنا قوياً ... أدرك أصدقائي الصعوبة التي أجتازها في الالتحاق بمدرسة جديدة والتعامل مع أصدقاء جُدد فأحاطوني برعايتهم ... كنا نكتشف أفكارنا وطموحاتنا وأحاسيسنا أمام بعضنا ..

وذات يوم تقابلت مع زملائي القدماء من المدرسة التي نُقلت منها .. نظر إلىّ الزملاء ولم يعرفوني ... الدهشة عقدت السنتهم ... كانوا يحملقون فيّ للتأكد من شخصي ... تبدّل إحتقارهم لي إلى إعجاب دون أن أعرف سبباً لذلك ... كنت أعتقد إني مازلت التلميذ القديم الذي نُقل إلى مدرسة أخري لكني عندما نظرتُ نفسي في المرآة تأكدت إني تغيرت لشخص آخر..

إكتسبتُ طولاً فإنفرد جسمي ... خلعتُ نظارتي الطبيه كما خلعتُ حزامي البالي ... كان تأثير أصدقائي علىّ عظيماً محبتهم لي ملأتني بالثقة في نفسي ... كانوا دائماً يساندوني حتى تغيّر مظهري بالكامل ... بمعونتهم تغلبت على وزني الثقيل ... كان لأحدهم الفضل في تشجيعي على عدم الإفراط في الأكل الغني بالدهون والسعرات الحرارية ... إذ قال لي إني أستطيع أن أفعل أي شيء قد صممت أن أفعله ... لقد نجح صديقي فيما فشل فيه الطبيب إذ قال يوماً لأمي وهو يقصدني " إن وزني الثقيل مشكلة " ... بمساعدة صديق آخر تخلصت من الحزام البالي إذ قال لي " إنه يضغط على معدتك ويضايقك " أما صديقي الثالث فقد أشار علىّ أن ألبس نظارتي الطبية عندما احتاجها في القراءة أو الكتابة ... بينما ساعدتني شقيقتي المتميزة برقي ملبسها في إختيار ملابسي ... وأقرب الأصدقاء إلى قلبي علَّمني كيف ابتسم إذ قال لي " لن يضرك الابتسام في شيء " ثم تحولت البسمة إلى ضحكة ... كذا تحسن أدائي الرياضي ... وأدائي الدراسي ...

كان ذلك التغيير بفعل أصدقائي الذين لم يروا فيّ هذا التلميذ الذي يتسم بالبلاهة والذي جاء إلى مدرستهم يطلب العلم بل استشفوا جمالي الداخلي والصفات الجميلة التي تميّزت بها شخصيتي ...

أحسن الأصدقاء هم الذين يتفهموا احتياجاتك ... ويساعدوك أن تكتشف حقيقة ذاتك ...

العمل الصغير

كنت أمر بحالة نفسية سيئة ... فإبني ذات الإثني عشر ربيعاً ... مريض وفواتير المرض تتوالي علىّ .. ومصاريف المدارس والكليات والدروس الخصوصية باهظة .. حتى إستطعت بالكاد أن أفي باحتياجات البيت من مأكل ومشرب وإيجار ... ضاقت نفسي جداً وبجهد عظيم كنت أمنع دموعي من أن تنهمر...

قررت العمل لفترة ثانية ... وقبل ذهابي للعمل لبيَّت دعوة أحد الأصدقاء لتناول الشاي معاً ... أحس صديقي بأزمتي ... حاول أن يخفف عني دون جدوي ... عند مغادرتي منزله وضع في جيبي مظروفاً .. لما فتحته وجدتُ فيه مبلغاً لا بأس به من المال ... مما أشاع

الطمأنينة في قلبي وأحسستُ بأن الصداقه البناءة شيء ثمين جداً ينبغي الحفاظ عليه والتمسك به ... كان عمله في هذا الوقت الحرّج من حياتي له أبلغ الأثر في حياتي ...
لما رجعت لمنزلي في هذا المساء وجدتُ كرتاً مُرسلاً باسمي من صديق آخر وفـي داخلـه كتب هذه الكلمات القليلة أشفق عليك لظروفك الصعبة ... لكن الرب معك " ... والكلمة على الرغم من إختصارها كانت عظيمة في تأثيرها علىّ وملأت قلبي بالإحساس بوجود الله معـي يقف بيني وبين المشكلة ...
بعد ذلك بيومين وكان حقاً أصعب وأطوّل يوماً في حياتي ... كنت متأزماً ... إلا أن وصلني طرداً ضغيراً عبارة عن صندوق صغير ممتلئ من الحلوي والشموع والزهور ... جعل قلبي يستتير ... وشمس الأمل تشرق في قلبي ...
أن مبلغ المال والكارت والحلوي بددت ظلمة أيامي فلم أحتاج لأدويه صناعية لتريحني ...
قررت أن أخرج لأتمشي ... وكنت أفكر في أولئك الأصدقاء الذين أعانوني بمحبتهم العمليـة ... وهنا اختبرت شيئاً مهماً في الحياة " لقد خلق الله العالم والناس ... وأعطي الناس نعمـة التغلب على أصعب المشاكل بالأعمال الصغيرة الصادرة من كل قلب محب ...

إرادة – قوة ـ تصميم

وقفتٌ أمام المرآة أنظر نفسي وقد إرتديت قميصي الأبيض الجميل إستعداداً لإمتحان الأحيـاء العملي الذي أمضيتٌ الساعات في إستذكاره ... جاء دوري ... وتقدمت في ثقة لأبدأ الإمتحان ... وهنا دوي صوت في آخر المعمل " ياله من قميص جميل " لكن لم تمـض لحظـات إلا واخترق أذني صوت أحد الزملاء يقول : " ما هذا إلا قميص أبي أعطته أمي لخادمتنا " وقـع قلبي ... وجفّ حلقي ... ومرت اللحظات وكأنها دهوراً ... ولم أبصر حولي غير نظـرات الاشمئزاز والإحتقار ... وبالطبع لم أُوفق في إمتحان العملي فقد كنت مضطرباً وأشعر بالمذلة والمهانة ... ولم أستطع ان أتبيّن أيهما أكثر مذلة إخفاقي في الإمتحان أم إكتشاف أمر قميصي الجميل ...
رجعت البيت وعلقّت القميص في مؤخرة الدولاب ... وَجَدته أمي ووضعته في المقدمة لكني عُدتٌ ووضعته في المؤخرة ... ولما إستمرت عملية إنتقال القميص بين المقدمة والمـؤخرة سألتني أمي لماذا لا أرتدي القميص؟ " أجبتها " ولن أرتديه ثانية " ... حاصرتني أمي بالأسئلة ولم أجد بدُا من الإعتراف لها بكل ما حدث في المدرسة ...
جلست أمي في سكون تام والدموع تملأ وجهها ثم قامت وبهدوء طلبت رئيستها فـي العمـل وأعتذرت عن عدم إمكانياتها العمل في بيتها بعد الآن.

أمضت أمي يومها في هدوء وبعد أن نام إخوتي جلست تتناقش مع أبي بينما وقفت خارج الباب أنصت إليهما ...
قصّت أمي على أبي ما حدث وسط دموعها وإحساسها بالمهانة لما لحق بي في المدرسة أمام زملائي ثم أردفت إنها لن تعمل بعد الآن في تنظيف المنازل بل ستواصل تعليمها حتى تستطيع أن تعمل كمدرسة .
أحضرت أمي الكتب وبدأت تستذكر حتى حصلت على الثانوية العامة ...
تقدمت أمي لتعمل كمدرسة لكنها أختيرت كمساعدة مدرسة ... فرحت أمي بالعمل وبذلت كل جهدها للتفوق فيه حتى جاءها مدير المدرسة يهنئها على أمانتها الشديدة في العمل ويبشّرها بأنه قد تم إختيارها كمدرسة للفصل استمرت أمي في عطائها واختيرت مدرسة مثالية وقيل لها في ذلك اليوم " لقد علّمت التلاميذ لا بعلمك فقط بل وبسلوكك أيضاً " ...
أما عني فقد جاء مدرس الأحياء يهمس في أذني " أعلم أن ظروفك كانت قاسية في يوم الإمتحان لذا فسوف أعطيك فرصة ثانية في الغد ... وتحسنت درجاتي في اليوم التالي ... وبينما كنت أجمع كتبي لأترك المعمل قال لي " هل تعتقد إنك الوحيد الذي إضطر لإرتداء الملابس المستعملة ؟ هل تعتقد أنك الوحيد الذي ولد وعاش فقيراً ؟ أجبته " نعم هذا ما أشعر به " – فأحاطني بذراعيه وقضَّ عليَّ قصة فقره ويأسه وكفاحه ومعاناته لأنه كان فقيراً ولم يكن يملك ثمن القميص أو الحذاء ... فكان يأتي يومياً بنفس اللبس ...
ثم أردف " أعرف شعورك وكان قلبي معك ولكن أريدك أن تعرف شيئاً يا إبني ... أنا مؤمن بك ... مؤمن إنك ستحقق شيئاً عظيماً في المستقبل ... أنا واثق إنك ستنجح ...
وللمرة الثانية أفقد القدرة على الكلام ... كل منا يقاوم دموعه لكني شعرت إنه يحبني جدا وبادلته حبا بحب ...
وفي الفصل كان يشجعني بكلمة ... بنظرة ... بإيماءة ... هنا فقط أدركت أن جميع الناس من طينه واحدة وإن إختلفوا في الثراء ... في الثقافة ... في العلم ... فهم شركاء في الخبرة في المعرفة في السعادة ... في الطموح ...
لقد أراني كل من مدرسي وأمي إننا لا نتميّز بما نلبس وبما نعرف وبما نملك ... بل بما تمتليء به قلوبنا من إرادة وقوة وتصميم.

حلم حياتي

لم أجد بين أفراد أسرتي من يشجعني على الإلتحاق بكلية الطب التي كانت حلم حياتي كلها ... فأمي إمرأة طيِّبة ليس لها هدفاً آخر سوي الإهتمام بتنظيف البيت والمحافظة على نظامه

ونظافته ... أما أبي فإن كان يحبني إلا أنه كان دائم الانشغال بعمله وبالكـــاد يجـــد الوقـــت للاستماع إليَّ ليتعرّف على مشاعري وأحلامي ...

وفي المرحلة الثانوية قررت أن أفاتح أمي في موضوع حلم حياتي فلم تكن دراسة الطب هدفاً لي بل وسيلة أتوّق من خلالها أن أخدم المرضي في البلدان الفقيرة ... أجابتني أمي بـــضيق ذات اليد وعجزها عن التكفل بمصاريف الكلية وأنه خير لي أن أعمل كسكرتيرة أو ممرضة لأتكسب من خلال عملي ...

لم أجد ما أناقش به أمي وقررت أن أفاتح أبي في الموضوع ... كنت أحدثه عن حلم حيـــاتي ... فأخذ يعدد لي مساوئ دراسة الطب سوف يصيبك الإكتئاب وأنت تتعاملين مع المتـــألمين والسكاري وأصحاب الحوداث ... أعتقد أنه من الأفضل لك أن تكوني طبيبه بطرّيه ... لكن على الرغم من حبي الشديد للحيوانات إلا إنني كنت أريد أن أساهم في تخفيف آلام الآخـــرين ... ولم نستطع أن نكمّل حديثنا لأنه تلقي محادثة تليفونية تركني على أثرها وحدي ومـــضي دون حتى أن يتذكر الموضوع الذي كنت أحادثه فيه ...

لم أجد معونة من والديَّ ... وأسقط في يدي إلى أن تذكرتٌ مدرسة الموسيقي في مدرستي ... كانت ذات صوت جميل .. تفيض حياة وحباً ... قررت أن أبوح لها بحلم حياتي ... دعوتها لزيارتي في بيتنا... وبينما نحن نتعاطي المشروبات قلت لها إن أبي يتطلع أن يراني طبيبـــه بطرّيه لأكسب مالاً ... أجابتني هذا جميل لكن ماذا تريدين أنت ؟ " قلت : أريـــد ان أكـــون طبيبة للفقراء وأعمل مثل الأم تريزا! " أجابت " وبهذا تخدمين الله من خلال عملك كطبيبة؟ " أجبتها بعفوية وفرح " نعم هذا ما أريده بالفعل! " أجابتني " إني أراك فعلاً طبيبة ناجحه ".

لقد شجعت ابنتي أن تعمل في هذا المجال وأستطيع أن أكلمك عن حياتها ... وطالت جلـــستنا هي تتحدث وأنا استمع وأتساءل وأتناقش ... زاد إرتباطنا معاً ... بثتّ فيّ الأمل في إمكانيـــة تحقيق حلم حياتي ... لكني قلت لها أن هذا سيكلفني مالا لا أقدر على الإيفاء به .. أجـــابتني المدرسة في عذوبة " هل أنت متفوقة في دراستك ؟ أجبتها بنعم أجابت " إذن ستحصلين على منحة التفوق وتستطيعين بهذا أن تحققي حلم حياتك ... ودخلت كلية الطب ... سهرت الليالي وعانيت من التعب والجهد ولكني في النهاية تفوقت ... ثم عملت وتزوجت بطبيب مثلـــي .. وقررنا الانطلاق سوياً للعمل في تخفيف آلام الفقراء والمحتاجين ... سعادتنا كانـــت تفـــوق الوصف لم يوقفها سوي ولادة إبننا البكر ... لكن مازال العمل أمامنا كثيراً ... والأمل أكبـــر في أن نحقق حلم حياتنا سوياً ...

نحن الآن نعمل حيث تكثر الأوبئة ... نتمتع بعملنا ... ونتمتع بأولادنا الذين يجدوا لذتهم في صحبة الجد والجدة وأيضاً مدرسة الموسيقي التي تبث الأمل لكل من يعوزه الأمل لتحقيق حلم حياته ...

عيد الأب

كنت أتطلع منذ شبابي المبكر أن أكون أباً أي أن أستطيع أن أفرغ شحنة عواطفي الأبوية في أبنائي ... فقد فقدت أبي وفقدت معه حنان الأبوة لذا كنت تواقا لأكون أبـــاً يـــداعب أطفالـــه ويلاعبهم يقبلهم ويتمني لهم نوماً سعيداً وأحلاماً وردية . لكن بعد عشر سنوات زواج تأكدت إن هذه العواطف الأبوية لابد أن تظل محبوسة في داخلي إذ تيقنت أن زوجتـــي لا يمكـــن أن تحمل أطفالاً.

ولما كنت أعمل مدرساً تفكرت في نفسي أنه وإن تعذر لي أن أكون أباً فيمكنني على الأقل أن أكون أباً لتلاميذي ... لكن هذا الشعور لم يستطع أن يملأ فراغ قلبي ..

أمضيتٌ عشرين عاماً في التدريس ... علّمت ألافاً من الطلبة ... كنت فرحاً إذ أتتبع الطلبـــة من الطفولة إلى الشباب ... إلى الرجولة ... أحببتهم عند زيارتهم لي وهم يحدثوني عن أحلام حياتهم ... إلا إنني كنت دائماً أحسد الآباء الذين كانوا يأتون إليّ ويـــسألونني عـــن أحـــوال أبنائهم. حاولت إقناع نفسي بأن أبوة المعلم تكفي إلا أن هذا الإقناع لم يشبع حاجتي الـــشديدة للأبوة.

وفي يوم كنت مع طلابي في يوم ترفيهي عندما سمعت إحدي الطالبات تـــشجع والـــدها فـــي اللعب " إنها لعبة جيدة يا أبي " ... هنا شعرتٌ بالحسرة تملأ قلبي فقد كتبٌ عليّ إلا أسمع هذا اللقب من أولاد لي.

جاء عيد الأب يزيد من آلامي ... توجهتٌ مثقلاً لمنزلي لكن عندما فتحت صـــندوق البريـــد وجدت مظروفاً يخصني من أحد طلابي ... فتحته فوجدت كارت تهنئه بعيد الأب كُتب فيه " أحبك يا أبي " عندما قرأت هذه الكلمات ذاب قلبي في داخلي .. لقد تأثرت جداً بهذه العبارة ولبرهة قصيرة شعرت بإحساس الأبوة الحقيقي ...

في هذا اليوم شكرت محبة هذا الطالب ... لقد ساعدني أن أملأ جزء هام في قلبـــي ألا وهـــو إحساسي بالأبوة الذي كنت أتوق إليه ...

عيد سعيد يا أبي

تقدمة حب

جلست الأم حزينة تفكر في الظروف الصعبة التي تمر بها في هذه الأيام .. كانت تمر بضائقة مادية حتى أنها اضطرت أن تسكن مع ابنها في شقه متواضعة للغاية حتى تستطيع أن تغطي المصاريف الضرورية مع إبنها البالغ من العمر عشر سنوات ... كان طفلها مشاغباً نـــشيطاً وفضولياً كان يمطرها يومياً بأسئلة حول العالم الجديد الذي يستكشفه في كل لحظة من لحظات حياته .. وبكل صبر وطول أناة كانت تشرح وتفسر وتعطي أمثلة وتعيد الـــشرح والتفـــسير

والأمثلة ... إلا أنه في بعض الأيام كان يظهر نشاطاً تدميرياً غير عادي فكانت تعده بالهامبورجر الذي يفضلها وكان لهذا الوعد فاعليته الإيجابية لمدة أسبوع كامل ...
أنهت الأم عملها المرهق وذهبت لتأخذ إبنها من المدرسة ... توجها إلى المنزل حيث أعدت الأم الغذاء وبعد ذلك راجعت مع إبنها دروسه المدرسية ... ثقل المسئولية الملقاة عليها وعناء اليوم المرهق ووحدتها زادت إحساسها بالتعب ... إلا إنها قاومت وأعطت لإبنها حماماً دافئاً ثم وضعته في الفراش ... جلست الأم تستريح في حجرة المعيشة ... ووجدت راحتها في البكاء ... ولم تشعر إلا بإبنها يقول لها " هل أنت بخير يا أمي " " نعم يا إبني فقط أشعر ببعض التعب " إندفع الصغير إليها وأحاط بذراعيه عنقها ... حاولت الأم أن توقف دموعها لكن بلا جدوي إذ إزدادت دموعها انهماراً أكد لها الطفل أن كل شيء سيكون على ما يُرام ... ذهب مسرعاً إلى حجرة نومه ورجع وهو يلهث مقدماً لأمه قصاصة من الورق . فتحت الأم الورقة وقرأت رسالته " إني أحبك يا أمي " .. أرادت أن تمسك به لتحتضنه لكنه أسرع إلى المطبخ وإنشغل بإعداد طبقها المفضل ... وعموماً هو الطبق الوحيد الذي يستطيع إعداده ومع ذلك فقد أخذ منه وقتا طويلاً ... أخيراً جاء إلى حيث أمه في غرفة المعيشة يحمل طبقاً من توست بالزبد هو كل ما يستطيع أن يقدمه مع كلمة " أحبك يا أمي ".
جلس الإبن مفتخراً أمام أمه يحمل لها الطبق الذي أعده خصيصاً لها وأكلت الأم كل ما في الطبق حتى عندما كانت الزبد كالكرة في وسط التوست ... أدركت الأم أن هذا هو التعبير الحقيقي عن حب إبنها ... لقد أعطي كل ما يملك ... لقد كتب الكلمات التي يعرف هجايتها وأعدّ الطعام الوحيد الذي يعرف كيف يعدّه ... لم تشعر الأم بأنها وحيدة إذ أحست إن لها طفلاً جميلاً يحبها ...
أحيانا ... وفي الوقت الذي لا تتوقعه تضئ لك بركة الرب ظلمة حياتك .. وطفلي هذا كان البركة التي أضاء بها الرب حياتي ...
وفي اليوم التالي أخذت إبني إلى حيث قدمت له طبقه المفضّل من الهامبورجر ... فكانت سعادته هي أعظم تقدمة حب تُقدم لي.

تبادل الأدوار

ما إن إنتهيتُ من دروسي حتى تنفستُ الصعداء ... الآن فقط أستطيع أن أستريح ... ذهنياً وفكرياً وجسمياً ... إلا أن رنين التليفون حوّل فرحي إلى حزن وقلق حين علمت أن أمي قد تعرضت لحادثة في الطريق ...
أسرعت بالتوجه إلى المستشفي ومنها إلى العناية المركزة حيث وجدتُ أمي موضوعة على جهاز التنفس الصناعي ... نظرتُ إليها وإذ بوجهها الجميل فد إنتفخ وارماً تملأه الجروح

والكدمات ... هل هذا الجسد المسجي هو جسد أمي الممتلئة نشاطاً ... التي سهرت الليالي لتمرضني ... التي ساندتني في ظروف الحياة القاسية ... التي أضاءت حياتي بالنور والمعرفة ... إنسابت دموعي غزيرة من عيني ... لكني قررت ألا أترك لمشاعر الحزن والألم الفرصة أن تبعدني عن واجبي نحو أمي ... أمضيتُ طول اليوم معها أحْصِ مرات تنفسها ... أدقق النظر في قسماط وجهها علّها تكشف لي عما تعانيه وأحاول أن أفهم من الطبيب المعالج حقيقة حالتها ...

من تلك اللحظة تغيّرت حياتي تغييراً كاملاً ... كنت أعاني من مشاكل المراهقة والفجوة العظيمة بيني وبين والدتي وكانت هذه المشكلة تمثل الأولوية في حياتي ولكن أمام والدتي التي تناضل من أجل الحياة ... تغيَّر الحال تغييراً جذرياً ... إن أمي محتاجة إلىَّ ... وداعاً لمشاكل الدراسة والمدرسة لقد فقدت الآن أهميتها وصارت بلا أي معني .. لقد واجهت أمي وأنا معها الموت ... فصارت للحياة معنى جديداً لكل منا ...

بعد أسبوع خرجت أُمي من العناية المركّزة وتحسنت حالتها ورفعوا عنها جهاز التنفس الصناعي ... أخيراً زال عنها الخطر لكنها لن تستطيع أن تمشي ثانية ... لكني كنت سعيدة أنها مازالت على قيد الحياة ... كنت لا أكاد أفارقها في المستشفي إلا للذهاب إلى مدرستي ... وأخيراً سمحوا لأمي أن تعود لبيتها وكانت سعادتي عظيمة لهذا الحدث ...

اعتبرنا رجوع أمي لبيتها بركة عظيمة لنا جميعاً ولكنها كانت بالنسبة لي مسئولية عظيمة أيضاً ... كانت الممرضة تأتي لتمريضها ولكني كنت أعتني بها في حياتها اليومية أقدمّ لها الطعام ... أساعدها على الإستحمام وفي كل إحتياجاتها اليومية ... كنت سعيدة حين أقوم بدور الأم لأمي ... لم يكن ذلك الأمر يسيراً لكني كنت سعيدة أن أكون بجانب أمي حين تحتاج إلىَّ ... واجهتُ بعض الصعوبات في رفع معنوياتها عندما تكتئب وتتألم للحال التي آلت إليه ... لكن البسمة لم تفارق وجهي أبداً على الرغم من الألم الذي ملأ قلبي ...

تغّيرت نوع العلاقة التي تربطني بأمي ... في الماضي كان بين أم وابنتها لكن بعد الحادثة سلّم كل منا أمره للآخر... كنت أساعد أمي حتى تقوي وتستطيع أن تعتمد على نفسها ... تعلمت أمي أن تقبل معونتي لها ولا تعتبرني مجرد طفلة كما في الماضي ... وبهذا تمتع كل منا بصحبة الآخر ...

بعد عامين من الحادثة التي تعرضت لها أمي كنت أتألم لآلامها ... لكن خبرتي في الحياة نمت أكثر من كل سنين عمري الماضية ... كنت أما لأمي فتعلمت الأمومة ... تعلمت القلق على من أحب تعلمت العناية بمن أحب وأختبرت خاصة لذة العطاء الذي بلا مقابل لمن أحب.

وداعًا للماضي

كان الفزع هو نصيبي الأول طوال مرحلة طفولتي ... ومنه توالد الحزن والألم .. والوحدة والمرارة ... كنت أعيش في مدينة صغيرة مع أسرتي ... وكان أبي سكيراً ... لا يكاد يفيق من الخمر ... وكان سبب تعاسة لحياتي وعدم الاحساس بالأمان والطمأنينة ... كنت قلقاً عليه إذ كان يقود سيارته وهو مخموراً ... وكان يضرب أمي بقسوة ... ويقسو علينا نحن أبناؤه بلا سبب ... كانت حالته تسوء من السيئ إلى الأسوأ ... فهو لا يكفّ عن الصراخ فينا ... وتحطيم كل ما تمتد إليه يديه ...

تأثرت حياتي الدراسية بظروفي السيئة في البيت ... وزاد حزني ... وانقلب إلى غم حينما ضرب أبي في إحدي ثوراته العنيفة أحد أخوتي فأصابه إصابة شديدة استدعت نقله إلى المستشفي ...

عُدت أخي في المستشفي ... وهو يصارع من أجل الحياة ... أمضيت معه الأيام وسهرت معه الليالي ... تألمت لآلامه وبكيت لبكائه ... وفي غمرة إهتمامي بأخي وإصراري على شفائه ... تلاشي كل إحساس لي بالوحدة والمرارة ... وقررت عندئذ أن أحدد لنفسي هدفاً يخرجني من الفراغ النفسي الشديد الذي سببه لي سُكر أبي ... لم أجد أمامي سوي دراستي ... لذا قررت أن أنجح وأتفوق.

كما قررت الإشتراك في الفرق الرياضية والثقافية ... وكلما مرّ بفكري منظر أبي السكير كلما إشتعلت في قلبي روح المنافسة ... هذا الماضي الكئيب يجب أن يموت ... هذه الكوابيس التي تسيطر على حياتي يجب أن تختفي ... هذه الرؤيا الكئيبة للحياة يجب أن تتغير ... وتفوقت في العالم وفي النشاط الرياضي والثقافي ...

وفقني الله في العمل في مصحة للسكيرين ... كنت على يقين أن جمعيهم مثل أبي يريدون التغلب على عبودية الخمر فيجدوا الأمر صعباً وإن لم يكن مستحيلاً ...

لكني رأيت في أولادهم أخوتي ونفسي ... وقررت أن أُخضعهم لبرنامج علاجي حتى يفهموا المأساة التي يعيشها آباءهم ويجدوا الشفاء من المرارة والحزن والكآبة التي سببها لهم أولئك الآباء ...

كنت أكلمهم عن تجربتي وخوفي وخجلي وإضطراب نفسي فبادلوني الحديث عن تلك المشاعر التي يشعرون بها واستطعنا معاً إن نحدّد لكل منهم أهدافاً في الحياة يعملون من أجل تحقيقها.. واليوم صرتٌ المسئول الأول عن تلك الدعوة للشفاء في العالم أجمع ... بدأت فرداً في مجتمع صغير فيه أشعر بالوحدة وعدم الأمان نتيجة لسكر أبي ... فصرت جزءاً من عالم كبير يمد يده للشفاء والبرء من السقام ...

لم أعد أشعر بالخوف والإضطراب أو الأسي ... هذه كلها صارت جزءاً من الماضي الذي عشته ... فمن حقي أن أعيش بلا خوف ... ومن حقي أن أعيش بلا ألم ...

بين أحضان والديّ

لما كنت طفلة في السادسة من عمري ... كنت أخاف من الثعبان ... من الفأر ... من أعاصير الشتاء ومن الظلام ... أتذكر ظلمة الليل والأمطار التي تلحق بالرعد والبرق حيث كانت حدة صوتها توقذني من نومي في فزع كانت الأمطار تدق على نافذة حجرتي بانتظام وبوتيرة واحدة ... وأغصان الأشجار خارج البيت تصدر أصواتاً مزعجة نتيجة دفع الرياح لها ... كنت استلقي في فراشي وينتابني الفزع وتخنقني الدموع ... ولكني – بعد تفكير – كنت أطرح عني غطاء الفراش ... وأمشي على أطراف أصابع قدمي ثم أدخل بهدوء شديد إلى حيث غرفة أبي وأمي ... وبحرص شديد كنت أدلف بينهما أضع رأسى المتعبة على الوسادة بينهما حيث أجد الأمان والطمأنينة ...

هنا يأتينى صوت أبى " ماذا بك يا إبنتى " فيأتيه جوابى " أبداً يا أبى إنى أشعر بالخوف من الزوابع وأنا وحيدة فى غرفتى " ... ويبقى أبى صامتاً ... ويمضى الليل ونحن مستغرقون فى نوم عميق آمن ...

ويأتى الصباح وتشرق الشمس ويبدأ يوماً جديداً ... ولما بلغت العشرين من عمرى كنت أخاف أيضاً ليس من الفأر والثعبان والظلام بل من الامتحانات والمستقبل وهل أجد عملاً مناسباً وهل أجد زوجاً مناسباً ...

وهنا أتذكر الأيام التى سبقت يوم زفافى ... كنت مشغولة جداً ... إعداد حقائب السفر ... وضع اللمسات الأخيرة للشقة الجديدة ... توزيع كروت الدعاوى ... تنظيم جلوس المدعويين ... ألخ .

وفى الليلة السابقة لزفافى ... ذهبت لفراشى متعبة منهكة للغاية نتيجة الجهد العظيم الذى بذلته فى الأيام السابقة ... استلقيت على فراشى ... خائفة ... مضطربة ... تخنقنى الدموع ... وبعد تفكير دفعتُ عنى غطائى وقمت من فراشى أمشى على أطراف أصابع قدمى إلى حيث حجرة أبى وأمى ... وكما كنت أفعل فى الماضى البعيد دلفت بينهما أضع رأسى المضطربة على الوسادة بينهما حيث مكان الأمان ...

هنا جاءنى صوت أبى " ماذا بك يا إبنتى " أجبته " أبداً يا أبى إنى خائفة وأنا فى حجرتى وحيدة فغداً يوم زفافى " .. وساد الصمت وجمعنا النوم العميق ...

وجاء الصباح وأشرقت الشمس وبدأ يوماً جديداً فى حياتى ...

حقاً لقد وجدت الأمان كله فى حضن أبى وأمى ...